انفجرت الحقيبة وغيَّرت وجه اليمن

تفاصيل تكشف لأول مرة

الأمناء/ الشرق الأوسط - غسان شربل:

العملِ اللصيق مع السيد الرئيس القائد ليس سهلا، سواء كان اسمه صدام حسين أو معمر القـــذافي أو علي عبد الله صالح، للعمل مكاســـب لا يمكـــن إنكارها، يوفر لـــك حماية تعجز عن توفيرها الدســـاتير التي تعمل غالبًا في خدمة القائد، تعطيك نفوذا لدى الوزراء والعسكريين لشعورهم أنَّك قريبٌ مـــن أذن الرئيس وموضع ثقته، تدخلـــك في دائرة القرار فتســـاعدك على معرفة الملابســـات والحيثيـــات فضلًا عن المكائد.

العمل اللصيق مع صاحب القرار المطلق امتياز مطلق، لكن لكلِ صعود ثمن، العمل نفسه يجعل منك صوتًا للرئيس وظلًا له، ويدخلك في دائرة مزاجه ويلزمك جراحات تجميليـــة لمواقفـــه المتسرعـــة وعباراتهِ المستهجنة.

تولَّدت لديَّ هذه القناعة حين حاورت نوري المسماري، أمينَ المراسِم العامة لدى القذافي، وهو كان بحق ظلِّ القائد في البر والبحر والجو. وترسَّخت لديَّ القناعة حين التقيت رجالًا عملوا مع صدام في القصر أو الحزب أو الجيش.

هذا مـــا خطر في بالي حـــين تلقيت نبأ وفاة اللواء علي الشـــاطر، رئيس دائرة التوجيـــه المعنوي في الجيش اليمنيَ، كان على مدى عقودٍ الرجل الأقرب إلى علي عبد الله صالح، وصَديق الإعلاميين الذين كانوا يتوافدون لمقابلة الرئيس.

لم يتنـــازل العســـكري الإعلامي عن ابتســـامته رغـــم العواصف التـــي كانت تهبُّ من مكتب عـــلي صالح وعليه، وكان علي الشـــاطر يدرك أنَّ إدارة اليمن صعبة ومعقـــدة، كان من الصعب رســـم حدود واضحة بين قبيلة الدولـــة ودول القبائل، والأمر نفســـه بين حبر الدســـتور وإرادة الرئيس. وسياســـات اليمـــن كالفصول، صيف ســـاخن وربيع عابر وخريف مثقل بتساقط الضحايا عند المنعطفات كتساقط أوراق الأشجار في الفصل الغادر.

استعذبَ علي الشاطر دوره كإعلامي، خاصة في رئاســـة تحريـــر صحيفة «26 سبتمبر». أتقن المهنة وانخرط في علاقات واســـعة مع العاملين فيهـــا، وكان يهتمّ بإطلاع الصحفـــي الزائر على الأســـئلة المطروحة في صنعاء فيدعوه إلى مجلسه للقاء وزراء وكتـــاب ومثقفين، أذكر ذات يوم كان الحـــوار محتدمًا حـــول العولمة وآثارها على الدول والمجتمعات، فجأة خطر لأحد الحاضرين أن يُذكر ببيت للمتنبي، وإذ بالعولمة تغيب عـــن المجلس لتندلع مبارزة في التبحر في سيرة الشاعر التي لم ينجح غبار التاريخ في حجبها. وكانت المشاركة ممتعة فالمتنبي سيد المغردين قبل ألف عام من «تويتر» ونجومه، وفي اليمن الماضي لا يمضي.

كان علي الشـــاطر وفيًا لدوره وواجبه حتى إن لم يشـــارك الرئيسَ دائما مواقفه ومفاجآته. قلت له ذات يوم: إنَّني سمعت من الرئيـــس أجوبة غريبة، ســـألته عن تصاعد الاضطـــراب الأمنـــي في صنعاء فأجاب أنَّ عدد الذين يقتلون فيها أقل من الذين يقتلون يوميًا في نيويورك، والمقارنة غير دقيقة.

وقلت لـــه: إنّني ســـألت الرئيس عن فرار عناصر من «القاعدة» من الســـجن، فأجابنـــي أنَّ بعضهم قد يعـــودون إليه. اســـتفسرت عن مبرر عودتهـــم فأجاب أنَّ الســـبب هو أنَّ بعضهـــم لا يزالون بعد فرارهم على اتصال مع الأمن، والاتصالات غريبة. اكتفى الشاطر بالابتسام وقال: إنَّ في اليمن خصوصيات كثيرة بينها أسلوب الرئيس.

لم تكن حياة علي الشاطر سهلة أبدًا، لم يضلع في العنف الدموي، لكنه كان يعيش وسط الانعطافات وضحاياها. بعد استيلاء الحوثيين على الســـلطة تعرَّض لملاحقات وإزعاجات ضاعفـــت أوجاعه. كان يعتبر عملَه خدمة في صفوف الدولة لا تستحق عقابًا، خاصة أنَّ اسمَه لم يرد في استهداف معارضين أو اصطياد خصوم.

بعد اغتيال الرئيس علي عبد الله صالح تذكرت أنَّ الشـــاطر أمضى عمره في ظل ثلاثة من الرؤســـاء العســـكريين الذين اغتيلوا، هـــذا يكفي لإغـــراق الذاكرة في مشـــاهد راعبة. ففي 11 أكتوبر (تشرين الأول) 1977 وقبـــل يومـــين مـــن زيارة مقررة له إلى عدن اغتيـــل الرئيس المقدم إبراهيم الحمدي بعد تجربة قاسية تمكن خلالها من تقليصِ نفوذ شـــيوخ القبائل، ومحاولتهم فـــرض نوع من الوصاية على الجيش نفســـه. اغتيل الحمدي في وليمة غداء دعي إليها ولا تزال ملابساتها تطرح بعد عقود أسئلة عن دور الرئيسين اللذين جاءا بعده.

بعد شهور سيتدخَّل القدر لإبقاء علي الشـــاطر حيًا. كان اســـم الرئيس أحمد الغشمي، في 24 يونيو (حزيران) استقبل الرئيس مبعوثًا من اليمن الجنوبي جاء في مهمة حساســـة، صافح الرئيس المبعوث الـــذي فتح الحقيبة فقتلتـــه مع الرئيس. كان يفترض أن يكون الشاطر حاضرا في اللقاء، لكن اتصالا في الليلة الســـابقة من القصر الرئاسي في عدن نصح الغشـــمي بأن يكون وحيدًا لدى اســـتقبال المبعوث نظرًا لدقة المسائل التي سيثيرها.

وقبل دخـــول مكتـــب الرئيس توقف المبعـــوث المفخخ في مكتـــب مجاور هو مكتب علي الشـــاطر الذي ذُهل بعد دقائق من دوي الانفجار. وكان اغتيال الغشـــمي الفرصة التي اغتنمها علي عبد الله صالح للقفز إلى السلطة، والإقامة فيها 33 عامًا قبل أن يخسر قصره ويقضي قتلا وإن دون حقيبة ومبعوث.

سألت الشـــاطر عن الحادثة فقال: إنَّ مسؤولًا أمنيًا في الحزب الاشتراكي اليمني طلب من خبير متفجـــرات أن يعدَّ حقيبة تنفجرِ فور فتحها، ولم يكن حامل الحقيبة جاهلًا أنَّه ذاهب في مهمة انتحارية، ولهذا كتب رسالة وداع لقادته في الحزب. سألت عن خبـــير المتفجرات فاكتفى الشـــاطر بالقول إنَّه لا يملك معلومات عنه.

بعد سنوات، شاءت المهنة أن أذهب ذات يوم إلى بلاد بعيدة للتعرف إلى «مطلوب» دولي اختـــار التواري للنجـــاة من أجهزة تتعقبه. أمضيت أيامًـــا مع الرجل الذي لم يسبق أن استقبل صحفيًا أو أدلى بتصريح. ذهبت في ختام الزيارة لوداعه واكتشفت أنَّه انزعج حين بثَّ التلفزيون صورة لعلي صالح، حرك رأسه كمن يعبر عن ندمه.

وحين وقفت لوداعه، قال: «يا غسان، أنا أحببتك ووثقت بك، قررت أن أضعَ رقبتي تحت يدك، ســـأودعك سرًا لا مجال لنشره وأنا حيٌّ، أنا الرجل الذي فخَّخ الحقيبة التي قتلت الغشمي».

كتمـــت الـــسرَ احترامًا للرجـــل، قُتل الغشـــمي وقتل بعده بأيـــام رئيس اليمن الجنوبي ســـالم ربيع علي (سالمين) وقتل لاحقًا الرجل الذي خطَّط لاغتيال الغشمي. وبعد سنوات طويلة قتل علي صالح وذهب الشاطر، بعدما ســـبقه الرجل الذي فخَّخ الحقيبة التي غيَّرت وجـــه اليمن، حقيبة بنعوش كثيرة.

الأمناء
alomana2013@gmail.com
المشرف العام: د. صدام عبدالله
رئيس التحرير: عدنان الأعجم
مدير التحرير: غازي العلوي
مدير الإخـراج الفني: مراد محمد سعيد
قسم التقارير: د. سالم لعور

الاراء والكتابات الواردة في الصحيفة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الصحيفة وانما تعبر عن وجهة نظر اصحابها.

عدن - المنصورة - شارع القصر تلفون: 341948 وللتواصل عبر الواتساب (772331158) للتواصل حول اعلاناتكم على 771210175